ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Assis . Lectu. Aqil Hasan Jasim

Imam Al-Kadhim College / Dhi Qar Branch

Email: Aqel.hasan@iku.edu.iq

Keywords:

Ruler, Islamic, State, Imam Ali ibn Abi Talib (Peace Be Upon Him

A r t i c l e i n f o

Article history:

Received 10.Mar.2025

Accepted 6.Apr.2025

Published 10.May.2025

The Role of the Islamic Ruler in State-Building – Imam Ali ibn Abi Talib (Peace Be Upon Him) as a Model

A B S T R A C T

The Islamic ruler is the cornerstone of societal stability and development. Imam Ali ibn Abi Talib (Peace Be Upon Him) is considered one of the most prominent examples of just rulers in Islamic history. He possessed a comprehensive vision that integrated moral and practical values in state administration. Despite facing numerous political and social challenges during his rule, he managed to govern with wisdom and justice. This study examines the role of the Islamic ruler in state-building throughout history, focusing on Imam Ali as a model demonstrating the application of Islamic principles in governance. By analyzing his leadership style and reliance on the Quran and Sunnah, the research aims to extract the fundamental principles that contributed to stability and development.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol59.Iss1.4307

دور الحاكم الإسلامي في بناء الدولة – الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) إنموذجاً

م.م. عقيل حسن جاسم الخفاجي

كلية الامام الكاظم عليه السلام / اقسام ذي قار

الملخص :

يشكل الحاكم الإسلامي حجر الزاوية في استقرار المجتمعات وتطورها، ويُعتبر الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أحد أبرز نماذج الحكام العادلين في التاريخ الإسلامي. فقد تمتع الإمام علي برؤية شاملة تجمع بين القيم الأخلاقية والعملية في إدارة الدولة، وواجه العديد من التحديات السياسية والاجتماعية خلال فترة حكمه، لكنه تمكن من إدارة شؤون الدولة بحكمة وعدل. يتناول البحث دور الحاكم الإسلامي في بناء الدولة عبر العصور، مركزاً على الإمام علي بن أبي طالب كنموذج يُظهر كيف يمكن تطبيق المبادئ الإسلامية في الحكم. من خلال تحليل أسلوبه القيادي واستناده إلى القرآن والسنة، يهدف البحث إلى استنباط المبادئ الأساسية التي ساهمت في تحقيق الاستقرار والتنمية.

الكلمات المفتاحية : الحاكم، الإسلامي ، الدولة ، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

المقدمة التمهيدية:

يشكل دور الحاكم في بناء الدولة أحد أهم المحاور التي تُسهم في استقرار المجتمعات وتطورها. ففي التاريخ الإسلامي، يمثل الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) نموذجاً بارزاً للحاكم العادل الذي التزم بتطبيق المبادئ الإسلامية في الحكم والإدارة. فالإمام علي (عليه السلام) لم يكن مجرد قائد عسكري أو سياسي، بل كان مثالاً للحاكم الذي يمزج بين البعد الأخلاقي والبعد العملي في إدارة شؤون الدولة. تميزت فترة حكمه بالعديد من التحديات السياسية والاجتماعية، ومع ذلك استطاع أن يقود الدولة بحكمة وعدل.

هذا البحث يسعى إلى دراسة دور الإمام علي (عليه السلام) في بناء الدولة الإسلامية من خلال تحليله لنموذج الحاكم الإسلامي العادل. ومن خلال استعراض سياساته في الحكم، وطرق تعامله مع الفتن والتحديات الداخلية والخارجية، سيتضح كيف أسس الإمام علي (عليه السلام) دعائم دولة تقوم على قيم العدل والشورى والمساواة، وهو ما يجعله انموذجاً فريداً للحاكم في التاريخ الإسلامي.

أولاً: بيان المسألة

يتناول هذا البحث دور الحاكم الإسلامي في بناء الدولة على مر العصور، مع تسليط الضوء على الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) كنموذج للحاكم العادل. يُعد الإمام علي رمزاً للقيم الإسلامية السمحة التي ترتكز على العدل، المساواة، وحسن التدبير في إدارة شؤون الدولة. ومن خلال تحليل أسلوبه القيادي وحكمه على أسس القرآن والسنة، سنحاول استنباط المبادئ الأساسية التي اعتمدها في بناء الدولة الإسلامية، والكيفية التي نجح بها في تحقيق الاستقرار والتنمية رغم التحديات التي واجهها.

ثانياً: أسئلة البحث

١. ما هي المبادئ الأساسية التي اعتمد عليها الإمام علي (عليه السلام) في إدارة الدولة الإسلامية؟
٢. كيف ساهم حكم الإمام علي (عليه السلام) في تعزيز العدالة والمساواة بين أفراد المجتمع الإسلامي؟
٣. ما هي التحديات التي واجهها الإمام علي (عليه السلام) في بناء الدولة، وكيف تعامل معها؟
٤. كيف يمكن تطبيق دروس حكم الإمام علي (عليه السلام) في الأنظمة السياسية المعاصرة؟

ثالثاً: فرضيات البحث

١. يعتمد الحكم الرشيد على المبادئ الإسلامية التي تحث على العدل والشورى.
٢. أسهمت سياسة الإمام علي (عليه السلام) في تعزيز الاستقرار السياسي والاجتماعي للدولة الإسلامية.
٣. يمكن أن تكون تجربة الإمام علي (عليه السلام) نموذجاً يُحتذى به في الحكم العادل والمعاصر.

رابعاً: الدراسات السابقة

التشابه والاختلاف بين دراستي وكل دراسة من الدراسات السابقة :

تطرق العديد من الباحثين إلى دراسة حياة الإمام علي (عليه السلام) من مختلف الجوانب، سواء الدينية أو التاريخية. وركزت بعض الدراسات على دور الإمام علي (عليه السلام) كحاكم، وأبرزت إسهاماته في إدارة الدولة الإسلامية بشكل عادل. من هذه الدراسات نذكر:

١. د. نوال حميد، الإمام علي ودوره في ترسيخ مبادئ الحكم العادل، دار الفكر، مصر، ٢٠١٠

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على الأسس التي اعتمدها الإمام علي (عليه السلام) في ترسيخ العدالة ضمن نظام الحكم الإسلامي. ركزت الباحثة على المبادئ القرآنية التي استند إليها الإمام في تحقيق الحكم العادل.

٢. د. محمد رضا الموسوي، القيادة الحكيمة للإمام علي: تحليل تاريخي وسياسي، مجلة الدراسات الإسلامية، جامعة بغداد، العراق، ٢٠١٥

يسعى الباحث إلى تحليل دور الإمام علي (عليه السلام) كقائد سياسي، مع التركيز على كيفية إدارته للدولة في فترة ما بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) والتحديات التي واجهها في ترسيخ دعائم الدولة الإسلامية.

٣. د. عبد الله يوسف، الشورى في حكم الإمام علي: دراسة في الفكر السياسي الإسلامي، دار المعرفة، لبنان، ٢٠١٢

هدف الباحث إلى دراسة مفهوم الشورى ودورها في النظام السياسي الإسلامي من خلال تجربة الإمام علي (عليه السلام)، مع التركيز على ممارساته المتعلقة بالشورى في الحكم وأثرها على اتخاذ القرارات.

٤. د. أحمد عبد الحافظ، إدارة الأزمات في عهد الإمام علي: نموذج للحكم الرشيد، المجلة العربية للعلوم السياسية، جامعة القاهرة، مصر، ٢٠١٨

تناولت الدراسة كيفية تعامل الإمام علي (عليه السلام) مع الأزمات السياسية والاجتماعية خلال فترة حكمه. يهدف الباحث إلى توضيح استراتيجيات الإمام في مواجهة التحديات السياسية، مع إبراز الجانب القيادي للإمام.

٥. د. سامي العلي، دور الإمام علي في بناء الدولة الإسلامية: تحليل لمبادئ الحكم والقيادة، مجلة التراث الإسلامي، جامعة الكوفة، العراق، ٢٠١٧

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل مبادئ الحكم التي اعتمدها الإمام علي (عليه السلام) لبناء الدولة الإسلامية، مع توضيح تأثير تلك المبادئ على نظام الدولة. ركز الباحث على القيم التي قام عليها حكم الإمام.

٦. د. فاطمة الزهراء حسن، مفاهيم العدالة والمساواة في فكر الإمام علي، (دار النهضة العربية، لبنان، ٢٠١٦)

تهدف الدراسة إلى تحليل مفاهيم العدالة والمساواة كما جاءت في خطب الإمام علي (عليه السلام) ونهج البلاغة. سعت الباحثة إلى استكشاف كيفية تطبيق هذه المفاهيم في سياق بناء الدولة الإسلامية وتحقيق السلم الاجتماعي.

- **التشابه والاختلاف بين دراستك والدراسات السابقة**

أوجه التشابه:

١. تتشابه دراستي مع معظم الدراسات السابقة، مثل دراسة د. نوال حميد ود. سامي العلي، في تحليل دور الإمام علي (عليه السلام) في الحكم وإرساء مبادئ العدالة وبناء الدولة الإسلامية.
٢. تشترك دراستي مع دراسة د. عبد الله يوسف حول مفهوم الشورى في فكر الإمام، وكذلك مع دراسة د. فاطمة الزهراء حسن التي تناولت العدالة والمساواة في فكره.
٣. تحليل القيادة السياسية للإمام علي (عليه السلام) مثل دراسة د. محمد رضا الموسوي التي ركزت على قيادة الإمام وتحليل تحدياته السياسية، ودراسة د. أحمد عبد الحافظ التي تناولت إدارة الأزمات في فترة حكمه.

أوجه الاختلاف:

١. دراستي لا تقتصر على تحليل الإدارة السياسية للإمام علي (عليه السلام) فحسب، بل تركز بشكل أوسع على دوره في بناء الدولة وفق نموذج الحاكم الإسلامي المثالي، بينما ركزت بعض الدراسات السابقة على العدالة، القيادة، الشورى، وإدارة الأزمات كلٌ على حدة.
٢. بينما تتناول بعض الدراسات جوانب محددة من حكم الإمام علي (عليه السلام) (مثل العدالة أو إدارة الأزمات)، فإن دراستي تقدم نموذجًا متكاملاً للحاكم الإسلامي من خلال تجربة الإمام علي (عليه السلام)، ما يجعلها أكثر شمولًا في تحليل دور الحاكم الإسلامي.
٣. تستند بعض الدراسات السابقة إلى تحليلات تاريخية أو سياسية بحتة، بينما تعتمد دراستي على إطار فكري وعقدي حول مفهوم الحاكم الإسلامي المثالي، مما يجعلها مختلفة في المنهجية عن الدراسات التي ركزت على الجانب التاريخي فقط.
٤. بعض الدراسات مثل دراسة د. فاطمة الزهراء حسن ركزت على مفاهيم العدالة والمساواة، لكن دون تناول كيفية توظيف هذه المفاهيم في بناء الدولة الإسلامية، وهو ما تبرزه دراستي بشكل أكثر وضوحًا.

دراستي تتكامل مع الدراسات السابقة ولكنها تتميز بزاوية بحثية مختلفة، حيث تسلط الضوء على الإمام علي (عليه السلام) كنموذج للحاكم الإسلامي في بناء الدولة، وليس فقط كقائد أو صاحب مبادئ سياسية. كما أنها تجمع بين البعد الفكري، السياسي، والاجتماعي في إطار شامل لمفهوم الحكم الإسلامي.

خامساً: أهمية البحث

تبرز أهمية هذا البحث في كونه يسعى إلى استعراض وتفصيل المبادئ الإسلامية التي اتبعها الإمام علي (عليه السلام) في بناء الدولة وتحقيق العدالة الاجتماعية. كما يهدف إلى استكشاف دروس من سيرته يمكن أن تسهم في تحسين الأداء السياسي والإداري في الدول الإسلامية المعاصرة.

سادساً: أهداف البحث

١. تقديم فهم أعمق لدور الإمام علي (عليه السلام) في بناء الدولة الإسلامية.
٢. تحليل المبادئ التي اتبعها الإمام علي (عليه السلام) في الحكم وكيفية تطبيقها.
٣. استكشاف إمكانية الاستفادة من تجربة الإمام علي (عليه السلام) في الحوكمة المعاصرة.

سابعاً: منهجية البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي والتحليلي، حيث سيتم دراسة المصادر التاريخية الموثوقة التي تناولت سيرة الإمام علي (عليه السلام) وأسلوب حكمه، مع تحليل هذه المصادر من منظور علمي لاستنباط المبادئ التي اعتمدها في بناء الدولة. سيتم استخدام المصادر الأصلية مثل نهج البلاغة وغيرها من الكتب الإسلامية.

ثامناً: هيكلية البحث

ينقسم البحث إلى مبحثين رئيسيين، يتناول كل منهما أحد جوانب حكم الإمام علي (عليه السلام): المبحث الأول: المبادئ الأساسية لحكم الإمام علي (عليه السلام) المطلب الأول: العدل في سياسة الإمام علي (عليه السلام)و المطلب الثاني: الشورى ودورها في إدارة الدولة

المبحث الثاني: التحديات والسياسات العملية في عهد الإمام علي (عليه السلام)

المطلب الأول: التحديات الداخلية وكيفية تعامل الإمام معها و المطلب الثاني: سياسة الإمام علي (عليه السلام) في مواجهة الفتن والأزمات

المبحث الأول: المبادئ الأساسية لحكم الإمام علي (عليه السلام)

المطلب الأول: العدل في سياسة الإمام علي (عليه السلام)

العدل هو ملكة نفسية تصدر عنها المساواة في الأمور الصادرة عن صاحبها، فهي دائرة الكمال، ومختلف الفضائل على الإجمال، تبعث على ملازمة التقوى والمروءة (المدائني، تاريخ الامام علي، ٢٠٠٠، ص ١٢٣) .

فقد أولى الإمام علي (عليه السلام)اهتمامًا بالغًا بالقضاء وعدالة القضاة ونزاهتهم، وأكد على الاهتمام بحقوق المترافعين لأن القضاء في الموازين الإسلامية يعتبر حلاً للمشاكل، والأمور المستعصية التي بإجتياحها يتفتت المجتمع، فالهدوء والطمأنينة أثناء الترافع ترفع من شأن التقاضي (الشعبي ، اخبار القضاة ، ١٩٩٥، ص ٩٨).

فقد عزل الإمام علي (عليه السلام)أحد قضاته المعروفين بالأمانة والنزاهة لأنه رفع صوته فوق صوت المتخاصمين. نصب أمير المؤمنين (عليه السلام)أبو الأسود الدؤلي، ٦٩ هـ/٦٨٨م في البصرة صاحب علم النحو قاضيًا في البصرة، فأعاد الإمام علي (عليه السلام) وأرسل له كتابًا عزله فيه، وطلب منه العودة إلى الكوفة، فصعب الأمر عليه لأن القاضي المحترم عندما يُعزل بدون القيام بأي عمل منافي للآداب العامة، فإن عزله يثير الشبهة في نظر العامة. وعند وصول أبو الأسود الدؤلي إلى الكوفة، سأل الإمام (عليه السلام) لم عزلتني يا أمير المؤمنين؟ ولا خنت ولا جنيت؟ وهو سؤال مهم، وقد صدقه أمير المؤمنين (عليه السلام)حيث قال: نعم، لم تخن ولم تجن)نهج البلاغة، "خطبة ٢٣٦").

قال أبو الأسود: فلماذا عزلتني إذن؟ قال عليه السلام: ((إنّي رأيت كلامك يعلو صوت الخصم)) (نهج البلاغة ، ص ٢٣٦). فقد أخبرتك بأنك عندما تجلس للقضاء وتتكلم، فإن صوتك يعلو على صوت المتخاصمين، وهذا يخالف الآداب الإسلامية المذكورة في باب القضاء.

فقد تحدث العامة والخاصة عن عدالة الإمام علي (عليه السلام) وتقواه وقد تمثل حبه للعدالة بهذا الوصف قائلاً: ((والله لئن أبيت على حسك السعدان مسهداً، وأجر في الأغلال مصفداً، أحب إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالمًا لبعض العباد، وغاصبًا لشيء من الحطام، وكيف أظلم أحدًا، والنفس تسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها)) (ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١٩٩٨، ص ١٣٩) .

وكذلك في ذمه للهدية التي تكون في موضع الرشوة، ووصف صاحبها بالجنون والهذيان إذا فكر في شراء ذمته، فيقول (عليه السلام): ((وأعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعائها، ومعجونة شنئتها كأنها عجنت بريق حية أو قيها، فقلت أصلة أم زكاة أم صدقة فذلك محرم علينا أهل البيت. فقال لا ذا ولا ذاك ولكنها هدية. فقلت هبلتك الهبول، أعن دين الله أتيتني لتخدعني، أمتخبط أنت أم ذو جنة أم تهجر. والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى. نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين)) (لنهج البلاغة، "خطبة ٢٠٠).

والقصص كثيرة على عدالة أمير المؤمنين (عليه السلام) التي تدل على مدى اهتمامه سلام الله عليه بالرعية وحقوقها. وهذه القصة خير شاهد على عدالته واهتمامه بشؤون رعاياه: ((إن سودة بنت عمارة الهمدانية دخلت على معاوية بعد موت علي، فجعل يؤنبها على تحريضها عليه أيام صفين ... إلى أن قال: ما حاجتيك؟ قالت: أن الله مسائلك عن أمرنا وما

افترض عليك من حقنا، ولا يزال يتقدم علينا من قبلك من يسمو بمكانك ويبطش بقوة سلطانك، فيحصدنا حصيد السنبل ويدوسنا دوس الحرمل، يسومنا الخسف ويذيقنا الحتف، هذا بشر بن ارطأة قدم علينا فقتل رجالنا، وأخذ أموالنا، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة، فإن عزلته عنا شكرناك وإلا كفرناك. فقال معاوية: إياي تهددين بقومك يا سودة؟ لقد هممت أن أحملك على قتب أشوس فأردك إليه فينفذ فيك حكمه، فأطرقت سودة ثم قالت: صلى الإله على روح تضمنها قبر فأصبح فيه العدل مدفوناً) (الطبري ، تاريخ الطبري ، ١٩٩٢، ص ١٥٦) .

الإمام علي (عليه السلام) كان معروفًا بتطبيق العدالة والمساواة بين أفراد المجتمع، بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية أو القبلية. وقد تجلت هذه القيم في خطبه ورسائله، وأبرزها توجيهاته إلى عماله وقضاته بضرورة العدل والإنصاف (المفيد ، الارشاد ، صفحة ٣١٢) ، أعطى الناس بالسوية لم يفضل أحدًا على أحد، وأعطى الموالي كما أعطى الصليبة وقيل له في ذلك، فقال (عليه السلام): قرأت ما بين الدفتين، فلم أجد لولد إسماعيل على ولد إسحاق فضل هذا، وأخذ عودًا من الأرض، فوضعه بين أصبعيه. فقال سلام الله عليه: ((أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه، والله ما أطور به ما سمر سمير، وما أم نجم في السماء نجماً، لو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله)) (ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ،ج ١، ١٩٩٨، صفحة ١٥٠).

ومن مظاهر عدله وليس في مساواته، ان المرأة القرشية، وهي من قبيلة قريش، جاءت إلى الإمام علي (عليه السلام) في الكوفة تطلب زيادة في مرتبها. لكنها حين وصلت إلى الكوفة لم تستطع العثور على مكان إقامته، فطلبت من سيدة أن تدلها على مكانه. السيدة سارت معها وأثناء الطريق، سألَت القرشية السيدة عن مرتبها، فأخبرتها السيدة أنه يعادل مرتبها، ثم سألَت السيدة عن هويتها، فأجابت أنها من غير العرب (أي أعجمية). حين وصلتا إلى الجامع الأعظم، حيث كان الإمام علي يقيم، أوقفت القرشية السيدة، وعندما دخلت على الإمام، بدأت تصيح قائلة: "أمن العدل يا ابن أبي طالب أن تساوي بيني وبين هذه الأعجمية؟" واحتجت على أن يكون مرتبها مساوياً لمرتَب امرأة غير عربية.

ردّ الإمام علي (عليه السلام) كان في غاية الحكمة والعدل. إذ أخذ قبضة من التراب وأخذ يقلبها بيده، وقال: "لم يكن بعض هذا التراب أفضل من بعض." هذه العبارة تعبر عن الفكرة الأساسية التي لا تميز بين الناس بناءً على عرقهم أو أصلهم، بل يتمتعون جميعهم بالعدالة والمساواة في الحقوق. الموقف يسلط الضوء على العدالة المطلقة التي مارسها الإمام علي (عليه السلام)، حيث أظهر أن التفاوت بين الناس في مكانتهم ليس له أساس سوى تقوى الله وأعمالهم، وليس العرق أو الأصل. فما هو مهم في نظر الإمام هو الكفاءة والعمل الصالح، وليس التمييز العنصري. وتلا قوله تعالى ((يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير)) (القرآن الكريم، الحجرات: ١٣).

ويقول المدائني وفاته سنة ٢٢٥هـ. : (إن من أهم الأسباب التي أدت إلى تخاذل العرب عن الإمام اتباعه لمبدأ المساواة حيث كان لا يفضل شريفًا على مشروف في العطاء ولا عربيًا على أعجمي).

ذكر الشعبي توفى في سنة ١٠٣ هـ، ٧٢١م: أنه دخل إلى الرحبة في الكوفة عندما كان غلامًا، وكان برفقته مجموعة من الغلمان. فوجد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) واقفًا بجانب صبرتين، إحداهما من الذهب والأخرى من الفضة. كان الإمام يستخدم مخفقة (أداة مشابهة للعصا) لطرد الناس بعيدًا، ثم يعود إلى المال ويقوم بتوزيعه بين الناس بالتساوي حتى لم يبقَ منه شيء. وبعد أن انتهى من توزيع المال، لم يأخذ إلى بيته شيئًا من هذا المال، سواء كان قليلًا أو كثيرًا. عاد الشعبي إلى أبيه وقال له: "لقد رأيت اليوم إما خير الناس أو أحمق الناس". فتعجب الأب وسأله: "من هو يا بني؟" فأجاب الشعبي: "إنه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، رأيته يفعل كذا وكذا"، وذكر له تفاصيل ما رآه. فبكى الأب وقال له: "يا بني، بل رأيت خير الناس". في هذا الموقف، يُظهر الإمام علي (عليه السلام) التواضع الشديد والعدالة في التعامل

مع المال العام. فقد كان يوزع المال على الناس حتى لا يبقى منه شيء، ويظهر بذلك حرصه على أن لا يبقي أي شيء لنفسه من أموال الدولة أو المال العام. حتى حين انتهى من التوزيع، لم يأخذ شيئًا لنفسه. عندما رأى الشعبي هذا الموقف، كان لديه انطباع مزدوج: إما أن يكون ما رآه يدل على أن عليًا هو خير الناس، أو أنه أحمق لأن المال الذي هو حق للناس كان يتم توزيعه بهذه الطريقة دون أن يحتفظ الإمام لنفسه بأي شيء. لكن رد فعل الأب كان مؤثرًا للغاية. عندما أخبره ابنه بما رآه، بكى وقال له: "بل رأيت خير الناس". وهذا يشير إلى أن الأب كان يعرف جيدًا سلوك الإمام علي وحرصه على العدالة والإيثار. فالرسالة التي يرسلها الأب لابنه هي أن العدالة والإيثار في توزيع المال هو ما يجعل الإمام علي (عليه السلام) من أطيب الناس وأفضلهم، وليس في هذا التصرف أي نوع من الحماقة. الدرس المستفاد هنا هو أن المقياس الحقيقي للفضيلة لا يأتي من جمع المال أو الاحتفاظ به، بل من استخدامه بما يعود بالنفع على المجتمع وتحقيق العدالة والمساواة بين الناس.

وأيضًا اتبع الإمام علي (عليه السلام) السياسة مع سبطي رسول الله (صلى الله عليه وآله)وعاملهما كبقية أبناء المسلمين، إذ يقول خالد بن معمر السدوسي لعلباء بن الهيثم توفى في ٣٦ هـ٦٥٦ م، وكان من أصحاب الإمام، وهو يحذر السبطيه: (إياك ثم إياك أن تفرط في حق ابن رسول الله؛ فإنه لا يكرم كرم أحد من العرب أو العجم أو الموالي) (الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ،ج ١١، ١٩٩٥، ص ٧٦) . وبهذه الطريقة، كان الإمام علي (عليه السلام) يرسخ مفهوم العدالة والمساواة بين جميع الناس في مجتمعه، مما جعله رمزًا للعدالة الإنسانية التي يستحق أن يُحتذى بها في كل العصور. (الجوهري ، ٢٠١٤، ص ٦٧) .

وروي: ((إن علياً عليه السلام أمر عمار بن ياسر، وعبيد الله بن أبي رافع، وأبا الهيثم بن التيهان، أن يقسموا فيئاً بين المسلمين، وقال لهم: اعدلوا فيه ولا تفضلوا أحدًا على أحد، فحسبوا فوجدوا الذي يصيب كل رجل من المسلمين ثلاث دنانير، فأعطوا الناس. فأقبل إليهم طلحة والزبير ومع كل واحد منهما ابنه، فدفعوا إلى كل واحد منهم ثلاث دنانير، فقال طلحة والزبير: ليس هكذا كان يعطينا عمر، فهذا منكم أو عن أمر صاحبكم؟ قالوا: بل هكذا أمرنا أمير المؤمنين عليه السلام، فمضيا إليه فوجداه في بعض أمواله قائماً في الشمس على أجير له يعمل بين يديه، فقالا: ترى أن ترتفع معنا إلى الظل؟ قال: نعم، فقالا له: إنا أتينا إلى عمالك على قسمة هذا الفيئ، فأعطوا كل واحد منا مثل ما أعطوا سائر الناس، قال: وما تريدان، قالا: ليس كذلك كان يعطينا عمر. قال: فما كان رسول الله صلى الله عليه واله يعطيكما؟ فسكتا، فقال: أليس كان صلى الله عليه واله يقسم بالسوية بين المسلمين من غير زيادة؟ قالا: نعم. قال: أفسنة رسول الله صلى الله عليه واله أولى بالاتباع عندكما أم سنة عمر؟ قالا: سنة رسول الله صلى الله عليه واله، ولكن يا أمير المؤمنين لنا سابقة وغناء وقرابة، فإن رأيت أن لا تساوينا بالناس فافعل، قال: سابقتكما أسبق أم سابقتي؟ قالا: سابقتك، قال: فقرابتكما أقرب أم قرابتي؟ قالا: قرابتك، قال: فغناؤكما أعظم أم غنائي؟ قالا: بل أنت أعظم غناء، قال: فوالله ما أنا وأجيري هذا في هذا المال إلا بمنزلة واحدة، وأشار بيده إلى الأجير الذي بين يديه، قالا: جئنا لهذا ولغيره، قال: وغيره؟ قالا: أردنا العمرة فأذن لنا، قال: انطلقا فما العمرة تريدان، ولقد أنبئت بأمركما وأريت مضاجعكما، فمضيا، وهو يتلو وهما يسمعان: فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً)) (البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج ١٣، ص٢٠٠)

علي سلام الله عليه هو الخليفة الوحيد، الذي لم تؤثر عليه أنه ميز نفسه أو قبيلته عن عامة الناس بدرهم واحد، علماً كان بعضهم في حاجة ماسة، فمن كلام له عليه السلام: ((والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهداً، وأجر في الأغلال مصفداً، أحب إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، أو غاصباً لشيء من الحطام. وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها، والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق، حتى استماحني من بركم

صاعاً، ورأيت صبيانه شعث الشعور غير الألوان من فقرهم، كأنما سودت وجوههم بالظلم، وعاودني مؤكداً وكرر علي القول مردداً، فأصغيت إليه سمعي فظن أني أبيعه ديني وأتبع قيادة مفارقاً طريقي، فأحميت له حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضج ضجيج ذي دنف من ألمها وكاد أن يحترق من ميسمها، فقلت له: ثكلت الثواكل يا عقيل أتئن من حديدة أحماها إنسان للعبة، وتجرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه، أتئن من الأذى ولا أئن من لظى))

سعى الإمام علي (عليه السلام) إلى حماية حقوق الأفراد ورعاية الضعفاء والفقراء، وذلك من خلال تنظيم الصدقات والزكاة وضمان حياة كريمة لجميع أفراد المجتمع (الزهراني، أثر الزكاة في تحقيق العدالة الاجتماعية،٢٠١٩ ، ص ٦٧) .

فالحاجة إلى التعايش ضرورة أينما وجدت علاقة بين أفراد المجتمع، وهي مسؤولية مشتركة أطراف ذلك المجتمع، وعملية التعايش تبدأ من قيم الإنسان التي يؤمن بها وصولاً إلى طبيعة تقييم الفرد لذاته، ومدى إمكانيته في إقرار حالة التعايش مع ذاته أولًا، فالتعايش يبدأ من دائرة الذات ويمتد ليؤثر، ويتأثر بجميع الحالات المختلفة، فالأصل الإنساني واحد، والجميع مكرمون، والاختلاف والتنوع والتعدد في اللغات والألوان من آياته ومعجزاته للعالم، ومدار إدراك هذا الواقع هو التجربة الإنسانية في الحكم عبر التاريخ (حامد ، الإسلام والعدالة الاجتماعية: مقاربة تاريخية ، 2022، ص ١١٢).

ولعل هذا الاتجاه يمكن التماسَه في كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام): ((اعلم يا مالك، إني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور، وإن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم)) (نهج البلاغة، ص٥٤٣).

((ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم، والمساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمنى، فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعترا، واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك وقسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى، وكل قد استرعيت حقه، فلا يشغلنك عنهم بطر، فإنك لا تعذر بتضييعك التافه لأحكامك الكثير المهم، فلا تشخص همك عنهم، ولا تصعر خدك)) (نهج البلاغة، ص٥٤٢).

هذه النصوص تقر وبشكل جلي مبدأ الضمان الاجتماعي، وتشرح المسؤولية المباشرة للدولة في إعالة الفرد وتوفير حد الكفاية له. ومبدأ الضمان الاجتماعي يقع تطبيقه على عاتق الدولة وممارسته في المجتمع الإسلامي (العساف نظام الضمان الاجتماعي في الإسلام ، ٢٠٢٠، ص ٢٥٦) .

ومن منطلق إيمان الإسلام بحق الجماعة كلها في موارد الثروة، لأن هذه الموارد الطبيعية قد خُلقت للجماعة كافة، لا لفئة دون أخرى، قال تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا(سورة البقرة :٢٩)

وقد دلت الآية الكريمة أن لكل فرد من الجماعة حق في الانتفاع من الثروات الطبيعية والعيش الكريم، فمن كان من الجماعة قادراً على العمل في إحدى القطاعات العامة والخاصة، على الدولة أن تهيئ له فرصة عمل في حدود صلاحياتها، ومن لم تتح له الفرصة في العمل أو كان عاجزًا عنه، فعلى الدولة أن تضمن حقه في الانتفاع من الثروات الطبيعية بما يضمن مستوى الكفاية من العيش الكريم (القرطبي، تفسير القرطبي للآيات المتعلقة بالعدالة الاجتماعية ، ٢٠١١، ص ١٨٩) .

فتكون مسؤولية الدولة في الضمان الاجتماعي ترتكز على أساس الحق العام للجماعة في الاستفادة من الثروات الطبيعية، وثبوت هذا الحق للعاجزين عن العمل من أفراد الجماعة (الحلبي ، ٢٠١٥، صفحة ١٣٤). وأما الطريقة التي اتخذها لتمكين الدولة من ضمان هذا الحق وحمايته للجماعة كلها بما تضم من العاجزين، فهي إيجاد بعض القطاعات العامة في الاقتصاد الإسلامي، التي تتكون من موارد الملكية العامة، وملكية الدولة، لكي تكون هذه القطاعات إلى صف فريضة الزكاة ضمانًا لحق الضعفاء من أفراد الجماعة، وحائلاً دون احتكار الأقوياء للثروة كلها، ورصيدًا للدولة يمدها

بالنفقات اللازمة لممارسة الضمان الاجتماعي، ومنح كل فرد حقه في العيش الكريم من ثروات الطبيعة (الدقاق، الإمام علي في الفكر الإسلامي ، ٢٠٠٤، ص ١٤٥) . والطريقة التي وضعت لتنفيذ هذه الفكرة هي: القطاع العام، الذي أنشأه الاقتصاد الإسلامي ضماناً لتحقيق هذه الفكرة، في جملة ما يحقق من أهداف (رزاق داوود، المذهب الاقتصادي الإسلامي... طريق الوسطية ،٢٠١٢،ص ٨٥).

وقد يكون أروع نص تشريعي في إشاعة المحتوى المذهبي للأساس والفكرة، والطريقة جميعاً، هو المقطع القرآني في سورة الحشر، الذي يحدد وظيفة الفيء، ودوره في المجتمع الإسلامي بوصفه قطاعاً عاماً، قال تعالى: (وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(٦) مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ(٧) لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ(٨)) (الحشر: ٦–٨).

المطلب الثاني: الشورى ودورها في إدارة الدولة

يبدع جورج جرداق في الحديث عن مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ونبوغه في التخطيط الإداري إلى جانب آثار الإنسانية الفريدة خلال فترة حكمه الوجيزة. ألوان رائعة من المجد الإنساني العظيم تجعلنا كعرب نباهي الأمم، كما تضيف شرفاً للإنسانية. وأن مثل تلك الصفحات المشرقة في تاريخنا لتؤهلنا إلى أن نعيد النظر في أنفسنا من جديد، تحطيماً لكثير من القيود التي كبلتنا بها عصور الظلمات الطويلة، وتمجيداً للبطولة الحقيقية التي تمثل بطولة فرد من الأفراد أو جيل من الأجيال في سبيل الإنسانية بأسرها (جرداق، صوت العدالة الإنسانية، ٢٠٠١، ص٤٠).

وأن ذلك الشعب الذي أمكن أن يعبر عن عبقرية منذ أربعة عشر قرناً برجل كعلي بن أبي طالب ثم بمجموعة من الناس كبعض تلاميذه وأنصاره يومذاك، هو شعب يستطيع اليوم في عصر غزو الأفلاك أن يمشي مع القافلة التي تسير وهي تنظر أبداً إلى الأمام، وهي وإن نظرت إلى الوراء – فلكي تستمد من وجودها الطويل عزيمة وقوة (الجلبي، إدارة الدولة في عهد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام). ،١٩٩٦ ، ص ١١٢).

وعلي بن أبي طالب من الأفذاذ النادرين الذين عرفتهم على حقيقتهم بعيداً عن الصعيد التقليدي الذي درجنا على أساسه، أن ندرس رجالنا وتاريخنا. عرفت أن محور عظمتهم إنما هو الإيمان المطلق بكرامة الإنسان وحقه المقدس في الحياة الحرة الشريفة. فقليل جداً من عظماء التاريخ الأقدمين هم الذين يبذرون في عقلك ويلقون في نفسك مثل هذه القاعدة الأصيلة من قواعد التطور وكأن علياً ينزع بها عن لسان الطبيعة وقلب الحياة: "لا تقصروا أولادكم على أخلاقكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم" (الحيدري ، الامام علي ع ودوره في الادارة الاسلامية ، ٢٠٠٣، صفحة ٨٢) .

وقليل جداً من عظماء التاريخ الأقدمين هم الذين يبذرون في عقلك ويلقون في نفسك موازين العدالة الكونية تنبثق عن نفسها وبنفسها تقوم، مكتفين بنور العبقرية أن: "من أساء خلقه عذب نفسه". وقليل جداً من عظماء التاريخ الأقدمين هم الذين أدركوا وعاشوا وقالوا: أن "كل إنسان له نظير في الخلق" و"إن الناس سواسية".(محسن الامين، دار العلم للملايين ،٢٠٠٢ ، ج: ٥، ص: ٢٨٧)

وقليل جداً من عظماء التاريخ الأقدمين هم الذين وعوا أن "الاحتكار جريمة"، وأنه "ما جاع فقير إلا بما متع به غني"، وأن "الذنب الذي لا يغفر، هو ظلم العباد بعضهم لبعض"، ثم راحوا يخلقون القوانين وينظمون الدساتير على أساس هذا الوعي الكريم (السيد ، الانسان وحقوقه في الاسلام، ٢٠١٧، ص ٩٠) .

وقليل جداً من عظماء التاريخ الأقدمين هم الذين عاشوا هذه المبادئ والأصول جميعاً، وجلوها وأقاموا عليها مذاهب فكرية واجتماعية متماسكة، خرجوا بها من نطاق الأفكار المستقلة بعضها عن بعض إلى إقامة البناء المنظم الواحد ذي البناء والأركان (الموسوي ، الاسس الفكرية للإدارة في عهد الامام علي ع ، ٢٠١٢، ص ٦٦) .

حرص الإمام علي (عليه السلام) على اختيار الكفاءات لإدارة شؤون الدولة، مع التركيز على النزاهة والكفاءة في تولي المناصب لا على أساس المحسوبية والصلة العائلية كما فعل سابقيه. وقد اشتهرت رسالته إلى مالك الأشتر، التي تُعد دستوراً في الإدارة العادلة، فقد قال سلام الله تعالى عليه: "أنظر في أمور عمالك، فاستعملهم اختباراً ولا تولهم محاباة وأثرة... فإنهم جماع من شعب الجور والخيانة، وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام، فإنهم أكثر أخلاقاً وأصلح أعراضاً، وأقل في المطامع إسرافاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً" (الناصري، فكر الإمام علي في الإدارة: مبادئ وقيم ، ٢٠١٥، ص ١٠٢).

ثم حث الإمام علي (عليه السلام) على تأمين الاحتياجات الاقتصادية للعاملين في القطاع الحكومي، لأن أحد أسباب الفساد الإداري هو العوز المالي، لذا كان لزاماً على الحكومة تأمين الحياة الكريمة للعاملين في القطاع الحكومي قائلاً: "ثم أسبغ عليهم الأرزاق فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك، ثم تفقد أعمالهم وأبعث العيون من أهل الصدق والعيون عليهم... فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية" (عبد الزهرة، الإمام علي كمدير: دراسة في أساليبه ووسائله ، 2017، ص ٣٧) .وقد أولى الولاة والعمال العناية الكاملة بإستطلاع أحوالهم، وحذرهم من كشف معائب الناس، وضمنها في وصيته لولاته: "وليكن أبعد رعيتك منك وأنشأهم عندك أطلبهم لمعائب الناس... فإن في الناس عيوباً، الوالي أحق من سترها... فلا تكشفن عما غاب عنك منها، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك" (الحيدري ، الامام علي ع ودوره في الادارة الاسلامية ، ٢٠٠٣، ص ٧٨).

كما حذر من بطانة السوء مع حثه على اتخاذ العيون والجواسيس، فقال في وصيته لمحمد بن أبي بكر: "ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشر والجور... فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله... إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً، ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة، فإنهم أعوان الآثمة وإخوان الظلمة، وأنت واجد منهم خير الخلف، ممن له مثل آراءهم ونفاذهم... وليس عليه مثل أوزارهم" (السيد ، رسالة الامام علي الى مالك الاشتر ، ٢٠١٠، ص ٩٥) .

وقد وصل الأمر بالإمام (عليه السلام) أن يحاسب ولاته على حضور الولائم التي لا يجمل بهم حضورها، فقد كتب إلى عامله على البصرة – عثمان بن حنيف الأنصاري(١٨٦٤، النجف): "أما بعد يا ابن حنيف، فقد بلغني أن رجلاً من فتية البصرة دعاك إلى مأدبة... فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان وتنقل إليك الجفان... وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو وغنيهم مدعو، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم... فما اشتبه عليك علمه فالفضة، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه" (الموسوي ، الاسس الفكرية للإدارة في عهد الامام علي ع ، ٢٠١٢، ص ٧٠) .

المبحث الثاني: التحديات والسياسات العملية في عهد الإمام علي (عليه السلام)

في سياق فترة حكم الإمام علي (عليه السلام)، نُواجه مبحثًا مهمًا يتناول التحديات والسياسات العملية التي كانت جزءًا لا يتجزأ من حكمه، وذلك استنادًا إلى الحقائق التاريخية الموثقة في الكتب والمصادر الشيعية. سنقوم بتحليل هذا المبحث من خلال المطلبين: التحديات الداخلية وكيفية تعامل الإمام معها، وسياساته في مواجهة الفتن والأزمات.

المطلب الأول: التحديات الداخلية وكيفية تعامل الإمام علي (عليه السلام) معها

أثناء خلافة الإمام علي (عليه السلام) بويع بالخلافة سنة ٣٥ هـ (٦٥٦ م) بالمدينة المنورة، وحكم خمس سنوات وثلاث أشهر ، واجه جملة من التحديات الداخلية التي كانت تعرقل استقرار الدولة الإسلامية، وأبرز هذه التحديات كانت تتعلق بالانقسامات الداخلية والمواقف المتناقضة داخل الأمة الإسلامية آنذاك.

التحديات القبلية والاجتماعية:

كانت الانقسامات القبلية في المجتمع العربي تشكل تحديًا كبيرًا، حيث كانت هناك صراعات بين القبائل، وخاصة تلك التي كانت تشعر بأنها لم تنل نصيبها من السلطة والنفوذ. الإمام علي (عليه السلام) سعى إلى تطبيق مبدأ المساواة والعدل بين أفراد الأمة، مما أدى إلى استياء البعض من زعماء القبائل الذين كانوا يعتمدون على الامتيازات القبلية. تعامل الإمام علي (عليه السلام) مع هذا التحدي من خلال تعزيز مبادئ العدل في توزيع الغنائم وتولي المناصب، وقد اتخذ موقفًا حازمًا ضد الثراء غير المشروع والمحاباة في التوزيع، كما يظهر في رسائله إلى ولاته مثل مالك الأشتر، حيث أكد على أهمية العدل وعدم التمييز بين الناس استنادًا إلى أصولهم أو قبائلهم. في كتابه المعروف بـ"نهج البلاغة" (نهج البلاغة ، ١٩٩١، ص ٤٥) ، تظهر خطب الإمام ورسائله تأكيدًا دائمًا على قيم المساواة والتقوى، وأنه لا فرق بين الناس إلا بالتقوى والعمل الصالح.

التحديات السياسية:

من بين التحديات السياسية الكبرى التي واجهها الإمام علي (عليه السلام) كان إرث الحكومات السابقة، وخاصة فترة حكم الخليفة الثالث عثمان بن عفان، بويع عثمان بالخلافة بعد الشورى التي تمت بعد وفاة عمر بن الخطاب سنة ٢٣ هـ الموافقة لسنة ٦٤٤م، وقد استمرت خلافته نحو اثني عشر عاماً. حيث خلفت سياساته توترات بين مختلف الفئات في المجتمع. وكان على الإمام علي أن يتعامل مع آثار تلك السياسة، مثل منح الأموال والنفوذ إلى المقربين، مما تسبب في استياء واسع بين المسلمين. تصدى الإمام علي (عليه السلام) لهذه التحديات من خلال إصلاحات شاملة، بدأها بإعادة تنظيم النظام المالي والإداري في الدولة الإسلامية، ومنع الاستغلال والمحاباة. (محمود عادل، بحوث في الحياة السياسية لأئمة أهل البيت ، 2018، صفحة ٩٠) كما تصدى للفساد بشكل مباشر، حيث عزل العديد من الولاة الفاسدين وأعاد الأموال التي نهبها بعضهم إلى بيت مال المسلمين. يُعد موقفه من "طلحة" (الوفاة: ٦٥٦ م، البصرة) و"الزبير(٣٦ هـ، ٦٥٦ م البصرة)"، وهما من كبار الصحابة اللذين خالفاه في الحكم، نموذجًا آخر لتعامل الإمام مع تحديات الانقسام السياسي؛ حيث رفض الاستجابة لمطالبهما الخاصة بالتنازل عن حكم البصرة والكوفة، وفضل الالتزام بمبادئ العدل والشورى في تعيين الولاة (الطبري ، تاريخ الطبري ، ١٩٩٢، ص ٣٢١) .

المطلب الثاني: سياسة الإمام علي (عليه السلام) في مواجهة الفتن والأزمات

واجه الإمام علي (عليه السلام) أزمات متعددة خلال فترة خلافته، وكان أبرز هذه الأزمات هي الفتن الكبرى التي هددت وحدة الأمة الإسلامية واستقرارها.

فتنة الجمل (٣٦ هـ):

كانت فتنة الجمل واحدة من أخطر الفتن التي واجهها الإمام علي (عليه السلام)، حيث قادها طلحة والزبير وعائشة بنت أبي بكر، وقد وقعت المعركة في منطقة البصرة. استطاع الإمام علي (عليه السلام) بحنكته العسكرية وإيمانه بوحدة الأمة أن يواجه هذه الفتنة بنجاح. رغم الانتصار في المعركة، سعى الإمام بعد انتهاء المعركة إلى استعادة السلام في

البصرة ومعالجة جروح المجتمع الإسلامي من خلال العفو عن المشاركين في الفتنة والتعامل معهم بروح التسامح، مما يعكس سياسة الحكمة والرحمة التي اتبعها (الخطيب ، سيرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ٢٠٠٨، ص٤٥) .

فتنة صفين (٣٧ هـ):

تعتبر معركة صفين بين الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية بن أبي سفيان من أصعب الأزمات التي واجهها الإمام خلال فترة حكمه. كانت هذه المعركة نتيجة للصراع على السلطة بين الشام، التي كان يحكمها معاوية، والدولة الإسلامية بقيادة الإمام علي. تمتد جذور الفتنة إلى خلافات سياسية عميقة، حيث رفض معاوية الاعتراف بخلافة الإمام علي وطالب بالثأر لمقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان. في معركة صفين، التي استمرت عدة أشهر، أظهر الإمام علي قدرات قيادية كبيرة، لكنه واجه تحديًا كبيرًا حينما لجأ جيش معاوية إلى رفع المصاحف على أسنة الرماح، في إشارة إلى طلب التحكيم بالقرآن. الإمام علي (عليه السلام) وافق على التحكيم على الرغم من علمه بأن ذلك كان خدعة سياسية، وذلك حرصًا منه على حقن دماء المسلمين وتجنب إراقة المزيد من الدماء. إلا أن التحكيم الذي أعقب المعركة أدى إلى نتائج سلبية، حيث تم استغلاله من قبل معاوية لإضعاف موقف الإمام علي وتقوية نفوذه السياسي (الجبرتي ، الفتن الكبرى في التاريخ الاسلامي، ١٩٩٥، ص ٢٠٠) . من ناحية أخرى، أسفر التحكيم عن انشقاق جزء من جيش الإمام علي، وهم الخوارج الذين رفضوا التحكيم وطالبوا باستمرار القتال. تعامل الإمام مع هذا التحدي بحكمة، حيث حاول بدايةً إقناعهم بالعودة إلى صفه بالحوار والنقاش، ولكن بعد فشل المحاولات السلمية، اضطر لمواجهتهم عسكريًا في معركة النهروان.

مواجهة الفتن الداخلية:

إلى جانب الفتن الكبرى كالجمل وصفين، كان الإمام علي (عليه السلام) يواجه أيضًا تحديات من الداخل، منها الانقسامات الفكرية بين المسلمين حول مسألة الخلافة وشرعية التحكيم. الخوارج كانوا من أبرز الحركات التي تمردت ضد حكم الإمام علي بسبب موقفه من التحكيم، وقد رفضوا الاعتراف بشرعيته. تعامل الإمام مع هؤلاء بدايةً بالحوار، محاولاً إقناعهم بخطأ مواقفهم الفكرية، ولكنه في النهاية اضطر لمواجهتهم في معركة النهروان. الإمام علي (عليه السلام) كان مثالاً للرحمة والحكمة في تعامله مع الخوارج، رغم أن الخوارج كانوا قد خرجوا عن طاعته وقاتلوه في معركة النهروان. بعد انتصاره في المعركة، لم يسعَ الإمام علي (عليه السلام) إلى الانتقام منهم أو القضاء عليهم بشكل كامل. بل، سعى دائماً إلى إصلاحهم وإعادتهم إلى الطريق الصحيح من خلال الحوار والنصح. كان حريصاً على أن ينشر مبادئ العدالة والتسامح، وقد قدم للخوارج فرصاً للعودة إلى الجماعة الإسلامية دون استخدام القوة أو العنف غير الضروري. هذا النهج يعكس عمق فكر الإمام علي (عليه السلام) القائم على اللين والعدل، حيث كان يؤمن أن القوة ليست الحل الوحيد، وأن الحوار والتفاهم هما الطريق الأفضل لتحقيق السلام والوحدة بين المسلمين.

وبذلك النهج مثل الإمام علي (عليه السلام) جميع القيم التي يعتز بها الإسلام، والمسيرة الرائدة لرسول الله محمد (صلى الله عليه وآله) في تعيين الإمام قائداً لأمته وخليفة من بعده. ويقيناً أن هذه الأحكام السامية لا تصدر إلا من وصي نبي منحه الله الحكمة وفصل الخطاب. ومن بين ما أشار إليه الإمام علي (عليه السلام) في هذا الخطاب:

أن يتقي الله تعالى، فلا يروع مسلماً ولا يخيفه، ولا يأخذ منه أكثر مما فرض الله تعالى عليه من الحق.

أن ينزل مع الجيش الذي معه بعيداً عن حيهم ومنازلهم مخافة ذعرهم.

أن يسلم عليهم سلاماً حفياً، ويقول لهم بأدب إن ولي الله تعالى وإمام المسلمين بعثني إليكم أن أخذ حق الله تعالى منكم، فإذا قالوا ليس عندنا حق فيتركهم وشأنهم، وإذا قالوا عندنا حق فينطلق معهم، فيأخذه، فإن كان من النقدين الذهب والفضة استلمها منهم، وإن كانت من المواشي أو الإبل فليس له من سبيل أن يدخلها دخول متسلط، وعليه أن يقسم المال قسمين ويجعل الخيار لهم في اختيار أحد القسمين.

أن لا يأخذ الهرمة والمكسورة وذات العوار.

أن يبعثها إلى الإمام (عليه السلام)بيد ثقة أمين حتى يقسمها بين المسلمين.

أن يرفق بالحيوانات رفقاً رقيقاً فلا يتعبها ولا يجيعها ويروحها وليس هناك من البر بالحيوان مثل الذي ذكره الإمام عليه السلام.

وهذا النزر اليسير من البنود في هذه الرسالة التي تحكي الرأفة والرحمة بالقرويين الذين واجهوا الظلم والاعتداء في العصرين الأموي والعباسي.

الخاتمة

يمثل الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) نموذجاً فريداً في تاريخ الحكم الإسلامي، حيث جسد القيم والمبادئ الإسلامية في سياساته وإدارته للدولة. يمكن الاستفادة من هذه التجربة في تعزيز الحكم الرشيد والعدالة في الدول الإسلامية المعاصرة.

أولاً: النتائج:

١. لقد كان للحاكم الإسلامي، ولا سيما الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، دور بارز في بناء الدولة الإسلامية، حيث تمثلت نتائج هذا الدور في عدة جوانب:

٢. قدم الإمام علي (عليه السلام) نموذجاً يحتذى به في تحقيق العدالة والمساواة بين أفراد المجتمع، مما عزز من أواصر الوحدة الوطنية وأدى إلى استقرار الدولة.

٣. ساهم في وضع أسس تشريعية وتنظيمية قوية، مما جعل من الدولة نموذجاً يحتذى به في العدالة والشفافية.

٤. أرسى دعائم أخلاقية عالية من خلال توجيهاته للمسؤولين والمواطنين، مما أسهم في تحسين السلوك العام وتعزيز قيم التعاون والمساعدة.

٥. تجسدت صفات الحكم الرشيد في سياسة الإمام، حيث عمل على الاستماع لمشكلات الناس وإيجاد الحلول المناسبة لها، مما أدى إلى زيادة الثقة بين الحاكم والمحكوم.

ثانياً: التوصيات:

في ضوء النتائج المستخلصة من دراسة دور الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في بناء الدولة، يمكن تقديم التوصيات التالية:

- ينبغي على الحكومات المعاصرة استلهام قيم العدالة والمساواة من نموذج الإمام علي (عليه السلام) في بناء مؤسسات قانونية قوية، تضمن حقوق جميع المواطنين.
- يجب تعزيز ثقافة الحوار بين الحاكم والمحكوم، كما كان الإمام علي (عليه السلام) يستمع إلى مشكلات الناس ويعمل على حلها.
- الأخلاق: ينبغي نشر المبادئ الأخلاقية التي دعا إليها الإمام علي (عليه السلام) في جميع مؤسسات الدولة والمجتمع، لتعزيز روح التعاون والتسامح.

المصادر والمراجع

القران الكريم

١. محمد أبو الفضل إبراهيم، نهج البلاغة، دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٥٩.
٢. المدائني، "تاريخ الإمام علي"، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠
٣. الشعبي، "أخبار القضاة"، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٩٩٥
٤. النهج البلاغة، "خطبة ٢٣٦
٥. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨، ج٢
٦. الشيخ المفيد، "الإرشاد"، دار النشر الإسلامية، قم،
٧. الشعبي، "أخبار الخلفاء"، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٦،
٨. الطبري، "تاريخ الرسل والملوك"، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٥، ج٤
٩. الحلبي، يحيى. الضمان الاجتماعي في الإسلام. جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ٢٠١٥
١٠. البغدادي، سعد. السياسة المالية في الإسلام. جامعة بغداد، العراق، ٢٠١٦
١١. البروجردي ،جامع أحاديث الشيعة ، ج ١٣،
١٢. الجوهري، عبد الرحمن. فلسفة العدالة الاجتماعية في الإسلام. جامعة القاهرة، ٢٠١٤
١٣. الزهراني، عبد الله. أثر الزكاة في تحقيق العدالة الاجتماعية. مجلة الدراسات الإسلامية، العدد ٢٣، ٢٠١٩
١٤. العساف، فهد. نظام الضمان الاجتماعي في الإسلام: المفاهيم والأسس. جامعة الملك سعود، ٢٠٢٠
١٥. القرطبي، محمد. تفسير القرطبي للآيات المتعلقة بالعدالة الاجتماعية. دار الكتب العلمية، ٢٠١١
١٦. السيد، علي. الإنسان وحقوقه في الإسلام: دراسة تأصيلية. دار الفارابي، بيروت، ٢٠١٧
١٧. حامد، شريف. الإسلام والعدالة الاجتماعية: مقاربة تاريخية. مجلة الفكر الإسلامي، العدد ١٥، ٢٠٢٢
١٨. جرداق، جورج. علي، صوت العدالة الإنسانية. دار الكتاب العربي، لبنان، ٢٠٠١
١٩. الجلبي، عبد الهادي. إدارة الدولة في عهد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام). جامعة بغداد، العراق، ١٩٩٦
٢٠. الحيدري، محمد باقر. الإمام علي (عليه السلام) ودوره في الإدارة الإسلامية. مؤسسة البلاغ، بيروت، ٢٠٠٣
٢١. الحسيني، علي. النظم الإدارية في الإسلام: دراسة في فكر الإمام علي (عليه السلام). جامعة الكوفة، العراق، ٢٠٠٨
٢٢. السيد، حسن. رسالة الإمام علي إلى مالك الأشتر: دراسة تحليلية. دار الفكر المعاصر، دمشق، ٢٠١٠
٢٣. الموسوي، مرتضى. الأسس الفكرية للإدارة في عهد الإمام علي (عليه السلام). جامعة المصطفى، إيران، ٢٠١٢
٢٤. الناصري، سامي. فكر الإمام علي في الإدارة: مبادئ وقيم. دار الساقي، لندن، ٢٠١٥
٢٥. عبد الزهرة، عباس. الإمام علي كمدير: دراسة في أساليبه ووسائله. جامعة الكوفة، العراق، ٢٠١٧
٢٦. الشريف الرضي، نهج البلاغة، دار الجيل، الطبعة الأولى، لبنان، ١٩٩١
٢٧. محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، لبنان، ١٩٩٢
٢٨. محسن الامين، دار العلم للملايين ،ط ١٥، ج: ٥،بيروت ص: ٢٨٧
٢٩. محمود عادل، بحوث في الحياة السياسية لأئمة أهل البيت، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية ، ٢٠١٨،
٣٠. فهد الخطيب، سيرة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، دار المحجة البيضاء، الطبعة الثانية، لبنان، ٢٠٠٨
٣١. عبد الله بن عبد الرحمن الجبرتي، الفتن الكبرى في التاريخ الإسلامي، دار الفكر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٥
٣٢. توفيق الدقاق، الإمام علي في الفكر الإسلامي، دار النفائس، الطبعة الأولى، الأردن، ٢٠٠٤
٣٣. رزاق داوود، المذهب الاقتصادي الإسلامي... طريق الوسطية ،جامعة الكوفة،٢٠١٢